طروحات مستكتبة, ندوة عمارة المساجد، م ١٠ أ، ص ص ٢٧-٣٦، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م)

دور المسجد في تشكيل النسيج العمراني
و تأكيد هوية المدينة الإسلامية المعاصرة

فهد بن نويصر الحريقي

كلية العمارة والتخطيط ، جامعة الملك فيصل

الدمام، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث: يهدف هذا الطرح إلى إبراز دور المسجد في تشكيل النسيج العمراني وتأكيد هوية المدينة الإسلامية وذلك من خلال فهم الغايات الشرعية للمساجد، ثم تهيئة البيئة العمرانية لتكفل تحقيق هذه الغايات. تشتمل الدراسة على مناقشة خاصية الشمول في الدين الإسلامي الحنيف وتطبيقاتها في تصاميم البيئة، وبعد ذلك تستعرض الغايات الشرعية للمساجد ومن ثم تناقش دور المساجد في تشكيل النسيج العمراني للمدينة المنورة. وأخيرا تناقش النتائج التي تركز على طرق تطبيق الغايات الشرعية في البيئة المعاصرة والاستفادة من نموذج المدينة المنورة.

المقدمة

حظيت العمارة (بما فيها المساجد) والمدن الإسلامية باهتمام خاص من قبل الباحثين من المسلمين وغيرهم، فعقدت المؤتمرات والندوات وتوالت البحوث، ولكن أخذت الدراسات أربعة اتجاهات رئيسة :

- الاتجاه التاريخي الوصفي الذي ركز على دراسة تاريخ المباني والمدن ووصف طرازها المعماري وطابعها العمراني ومدى تأثره في الحضارات الأخرى. وأخذت بعض العناصر مثل الأفنية الداخلية، القباب، العقود، والرواشين نصيب الأسد في الدراسات المعمارية. فيما كان وصف التركيب العمراني خصوصا أنواع الشوارع والطرقات وأشكالها محور الاهتمام في دراسات المدن.
- محاولة فهم العمارة والمدن الإسلامية من خلال النصوص الشرعية ممثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. يركز هذا الاتجاه على تسخير النصوص الشرعية لشرح وتبرير بعض أنماط التخطيط والطرز المعمارية التي استخدمها المسلمون في البيئة المشيدة.
- التركيز على دور المؤسسات القانونية والإدارية خصوصاً الحسبة والقضاء في تنظيم العلاقات بين المباني واستخدام المرافق العامة ومنع التعديات وتأثير ذلك في تشكيل البيئة العمرانية.

- الاتجاه الإسلامي الشامل الذي يهدف إلى فهم غايات الإسلام الشرعية والاجتماعية ثم تصميم البيئة لاحتوائها.

لقد ساهمت الاتجاهات الثلاث الأولى في فهم العمارة والمدن الإسلامية، ولكن طبيعتها التاريخية حجمت الاستفادة من الدروس المستقاة منها في العصر الحديث. وذلك لتطور التقنية وما صاحبها من متغيرات في المتطلبات الاجتماعية والمعيشية. لذلك اكتفى بعض المتخصصين بالعمارة والمدن الإسلامية بالمفاخرة، والتبجيل للقديم والبكاء على الأطلال. أما أولئك القلة الذين حاولوا تسخير الدروس المأخوذة من العمارة والمدن الإسلامية في تصميم البيئة المشيدة المعاصرة فاغلبهم وقع في مغبة التقليد والاكتفاء بأخذ بعض المفردات المعمارية مثل القباب والعقود والرواشين وفرضها على التصاميم الحديثة، وفرض الشوارع ذات النهايات المقفلة والشوارع المغلقة (loops) على المدن والأحياء الحديثة.

أما الاتجاه الرابع فتميز بالاستمرارية و المرونة التي تضفي على طابع العمارة والمدن الإسلامية خاصية الديمومة والتطور. فخاصية الاستمرارية مستمدة من ثبات واستمرارية الغايات الشرعية وصلاحيتها لكل العصور والبيئات. أما خاصية المرونة تكمن في تعدد طرق احتواء الغايات حسب الأزمنة والبيئات والتطور الاجتماعي والتقني.

يهدف هذا الطرح إلى إبراز دور المسجد في تشكيل النسيج العمراني وتأكيد هوية المدينة الإسلامية، وذلك من خلال فهم الغايات الشرعية للمساجد والاسترشاد بمدينة الرسول ﷺ. ثم تهيئة البيئة المعاصرة لتكفل تحقيق الغايات الشرعية وتمكين المسلم من أداء واجباته الدينية والحياتية كما ينبغي حسب هدى الشريعة الإسلامية.

سيتناول الطرح خاصية الشمول في الدين الإسلامي الحنيف وتطبيقاتها في تصاميم البيئة، ومن ثم يستعرض الغايات الشرعية للمساجد، وبعد ذلك يتم استعراض دور المساجد في تشكيل النسيج العمراني لمدينة الرسول ﷺ، وأخيرا تناقش السبل الكفيلة لتحقيق هذه الغايات من خلال تصميم البيئة في مدينتا المعاصرة والاستفادة من تجربة المدينة المنورة.

شمول رسالة الإسلام

جاء الإسلام بمنهج حياة شامل للناس كافة، قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ [سورة الأنعام، آية ١٦٢] . وقال له أيضا ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [سورة الأنبياء، آية ١٠٧]

وكلمة "العالمين" تشمل البعد الزماني والمكاني مفيدة بأن رسالة الإسلام صالحة لمختلف العصور والبيئات [٣، ص٥٦٨-٥٧٠]. وخاصية الشمول تتجلى باستيعاب تعاليم الدين الإسلامي لكل شئون الحياة متدرجة من تحديد علاقة الإنسان بخالقة إلى آداب استخدام الطريق، قال ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها: قول لا اله إلا الله وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان" [٤،١م،ص١٠]. إضافة إلى ذلك تميز الإسلام بالتوازن والبعد عن التطرف، فتعاليمه توازن بين متطلبات الإنسان الروحية والمادية، الفردية والجماعية، الواقعية والمثالية،

وقد أشار الله سبحانه وتعالى لهذه الخاصية بوصف الأمة الإسلامية بقوله :﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ [سورة البقرة، آية ١٤٣].

شمول رسالة الإسلام وخلودها حتم استيعابها للمتغيرات الحضارية ومتطلبات الإنسان في كافة العصور، لذلك احتوت عناصر ثابتة وأخرى مرنة متغيرة، فخاصية الثبات تحفظ لهذا الدين استمراريته وللمجتمع هويته المميزة. أما المرونة فتمكن المجتمع من التكيف مع المتغيرات الحضارية وتكفل له الاستفادة من معطيات التقنية والتقدم وتفتح له مجالات الإبداع.

ولو نظرنا إلى هدى الإسلام من الناحية التطبيقية نجده ينقسم إلى ثلاثة أقسام [٥، ص ٢١٩-٢٤٦]:

أولا : عبادات أساسية تطبيقها موقوف على ما جاءت به الشريعة ولا مجال فيها للإبداع أو التجديد، مثل الأركان العملية الخمس: الشهادتين ، أقام الصلاة، إيتاء الزكاة، صوم رمضان، وحج البيت الحرام، وشرائع الإسلام القطعية في شئون الحدود والزواج والمواريث. وهذه يجب تنفيذها كما جاءت ، وقد اغلق باب الابتكار فيها الرسول الكريم بقوله: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" [٤ ، م١، ص ٥١].

ثانيا: غايات اجتماعية وأخلاقيات وهذه تحدد الشريعة أهدافها وترسم إطارها وتترك التفاصيل وأسلوب التطبيق مفتوحة. وهذه التعاليم تنظم حياة الفرد وعلاقته بالمجتمع والبيئة المحيطة به ومن خلالها تتجلى خاصية المرونة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في دينه. على سبيل المثال يحض الإسلام على المساواة، والعدالة الاجتماعية، والتكافل الاجتماعي، والتميز، وإبراز الهوية الإسلامية، ولكن لا يحدد صورة معينة لتطبيق هذه الغايات في الواقع وذلك لاختلاف المواقف والثقافات والبيئات ومتطلبات الحياة من عصر إلى أخر.

ثالثا : فيما يتعلق في النواحي العلمية التقنية فالإسلام يحض عليها ويشجع الأخذ بها وتطويرها. قال تعالى فيما يتعلق بالتقنية العسكرية والصناعة ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ [سورة الأنفال ، آية ٦٠]

وقال عن الحديد:﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ [سورة الحديد ، ٢٥]. و لم تحدد الآيات كيفية القوة أو طريقة أعدادها ولا ماهية المنافع وطرق الاستفادة منها ولكن تركت كل هذه الجوانب مفتوحة للبحث والتطوير والابتكار.

ومن هذا يتضح أن الإسلام كمنهج حياة يحدد ويفصل علاقة الإنسان بخالقه وينظم حياة الفرد وعلاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه ويفصل في الثوابت، ويحدد الغايات ويرسم الخطوط العريضة للمتغيرات. أما فيما يتعلق في العلوم والفنون فيفتح الباب على مصراعيه للبحث والتقصي والإبداع بشرط أن يكون في إطار التعاليم والغايات الشرعية.

ومن هذا يفهم أن الإسلام لا يعلمنا كيف نصنع الأشياء أو نشيد المباني أو نخطط المدن إنما يحدد لنا أهداف ويبين لنا غايات يجب علينا مراعاتها في ذلك.

ولمزيد من التوضيح نأخذ المسجد كمثال: فهو العلامة المميزة للمدن الإسلامية واهم عنصر عمراني فيها. وتكرر لفظ "مسجد" في صيغتي المفرد والجمع في ٢٨ موضع في القرآن الكريم [٦] وانفردت المساجد بعشرات الأحاديث

مبينة أدق التفاصيل في غاياتها وأهدافها وآدابها [١٣]. مثلا كيفية المشي أليها، طريقة الدخول والخروج منها والأدعية المتعلقة بذلك، وآداب الجلوس فيها وما هو مباح أو غير مباح فعله أثناء ذلك [٤، م١، ص٢١٩-٢٤٥].

ومقابل كل هذه التفاصيل الدقيقة المتعلقة في الغايات والآداب لم تطرق الشريعة إلى شكل المسجد أو طابعه المعماري أو طريقة بنائه أو المواد المستخدمة لذلك و لم يأمرنا الرسول الكريم ببناء مساجدنا على غرار مسجده. إنما نجد المسلمين في مختلف العصور استوعبوا وظائف المسجد وفهموا أهدافه وآدابه وسخروا التقنية المتاحة لترجمتها إلى مباني. لذلك تعددت أنماط عمارة المساجد في العالم الإسلامي عاكسة تعدد التقاليد والثقافات، وتطور التقنية ومواد البناء، والعوامل الجغرافية في الأقطار الإسلامية. وهذا يحتم علينا، كما فعل أسلافنا من قبل، فهم أهداف وغايات الإسلام بالدرجة الأولى، وبعد ذلك تصميم البيئة لاستيعابها مستخدمين معطيات العصر ومستفيدين من التجارب السابقة في العمارة وتخطيط المدن.

الغايات الشرعية المحددة لدور المسجد في تشكيل النسيج العمراني

يمكن تصنيف الغايات الشرعية المحددة لدور المسجد في تشكيل النسيج العمراني إلى ثلاث مجموعات رئيسة: المجموعة الأولى تحدد وظيفة وأهمية المسجد، أما المجموعة الثانية تعني في فضل صلاة الجماعية، فيما تركز المجموعة الثالثة على كيفية الذهاب إلى المسجد لأداء الصلاة.

وظيفة المسجد

تستمد المساجد أهميتها من الشعيرة التي تقام بها، فالصلاة ثاني أركان الإسلام وعامود الدين أدائها خمس مرات يومياً فرض على كل مسلم بالغ عاقل. لذلك كان بناء المساجد أول الأعمال التي قام بها ﷺ في المدينة بعد الهجرة، حيث أسس ﷺ مسجد قباء حين وصوله إلى قرية قباء ثم شرع ببناء مسجده ﷺ مباشرة بعد دخوله المدينة.

وقد حدد القرآن الكريم الوظيفة الرئيسة للمساجد فقال تعالى: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ۞ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ [٢، سورة النور، آية ٣٦-٣٧] وبينت السنة المطهرة أن المسجد ليس دار للعبادة فقط بل مركز لجميع النشاطات السياسية والثقافية والاجتماعية التي تهم الأمة. ففي مسجده ﷺ عقدت الألوية، وألقيت الدروس، ودُوي المرضى، واُستقبلت الوفود الرسمية.

لذلك حث الإسلام على بناء المساجد، فقد روي عثمان بن عفان رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال: "من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة" [٤، ص ٢٢٠]. ولسهولة الوصول إليها أمر الرسول ﷺ أن تبنى بالدور (الأحياء السكنية). عن عائشة رضى الله عنها قالت: "أمر رسول الله ﷺ ببناء المسجد في الدور، وأن ينظف ويطيب" [٤، ص ٢٢٣].

صلاة الجماعة

حث الإسلام على صلاة الجماعة، و قد ورد عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ قال: "صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً " [٤، ٢١١] وبين ﷺ أن اجر الجماعة يزداد طردياً مع زيادة عدد المصلين فكلما زاد العدد كثر الأجر وزاد فضل الصلاة. عن أبي بن كعب قال، قال الرسول ﷺ: "صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده. وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل، وما كان اكثر فهو أحب إلى الله تعالى" [٧، م١، ص٢٣٠] (أزكى: أي أكثر أجرا وابلغ في تطهر المصلى من الذنوب) [٧، م١ ، ص ٢٣٠].

ورد أن الصلاة في المسجد العتيق افضل و أن عتق المسجد ما يحمد به ولهذا قال تعالى ﴿ ثم محلها إلى البيت العتيق ﴾ [سورة الحج ، آية ٣٣] . وقال: ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ [سورة آل عمران ، آية ٩٦] فان قدمه يقتضي زيادة فضله، وذهب بعض العلماء إلى حرمة بناء مسجد إلى جانب مسجد، إلا لحاجة كضيق ونحوه. قال السيوطي: ".... وذلك لما فيه من تفريق الجمع وتشتيت شمل المصلين .. ومضادة حكمة مشروعية الجماعات وصرف الأموال فيما لا ضرورة فيه" [٨، ص٩٦].

الذهاب إلى الصلاة

حث الإسلام على المشي وكثرة الخطى لأداء الصلاة، فقد ورد عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه إن الرسول ﷺ قال: "اعظم الناس أجرا في الصلاة، أبعدهم فأبعدهم ممشى ... "[٤، ص ٢٢٠]. وقد أمر الرسول ﷺ بنو سلمة عندما أرادوا أن ينتقلوا قرب المسجد بعدم الرحيل فقال: "يا بني سلمه .. دياركم تكتب آثاركم ، دياركم ، تكتب آثاركم" [٤، ص ٢٢٠].

لاكتمال الأجر يجب الالتزام بالخشوع والسكينة أثناء المشي للصلاة، ورد عن أبي هريرة رضى الله عنه ان الرسول صلى عليه وسلم قال: "إذا أقيمت الصلاة ، فلا تأتوها تسعون، وآتوها تمشون وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا"، وفي رواية لمسلم "فان أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة" [٤، ص ٢١٦].

دور المسجد في تشكيل النسيج العمراني للمدينة المنورة

بعد هجرة الرسول ﷺ وبناء مسجده أخذ التكوين العمراني للمدينة يتغير من تجمعات قبلية (عرفت باسم منازل) متفرقة إلى شكل تجمعياً. فبعد بناء المسجد النبوي وبناء بيوت زوجات الرسول ﷺ ، أقطع ﷺ الأراضي الفضاء المحيطة بالمسجد للمهاجرين الذين بنوا بيوتهم ملاصقة للمسجد أسوة بالرسول الكريم ﷺ. وبعد اكتمال البناء حول المسجد أعطت قبائل الأنصار بقية الأراضي الفضاء القريبة لرسول الله ﷺ والذي بدوره وزعها أيضا على المهاجرين لبناء مساكنهم. وبذلك بدأت منازل القبائل تتوسع وتلتصق بعضها ببعض وبالكتلة العمرانية حول المسجد مكونة أحياء سكنية، وبدأ التكوين العمراني الجديد يأخذ شكل مدينة في المفهوم المتعارف عليه [٩].

في نهاية عهده ﷺ تكونت المدينة من جزأين رئيسيين: الكتلة العمرانية الرئيسة ومنازل القبائل (يمكن أن يطلق عليه حسب المصطلحات الحديثة الضواحي). اشتملت الكتلة العمرانية الرئيسة على تسعة أحياء سكنية. أما الضواحي فكانت تتكون من عدة بيوت تحيط بها وبالكتلة العمرانية المزارع. وكانت قباء من أهم تلك الضواحي في جنوب الكتلة العمرانية وعلى مسافة ثلاث كيلومتر من مركز المدينة (انظر شكل١).

كان المسجد النبوي مركز الكتلة العمرانية الرئيسة وشكل نواة التجمع العمراني للمدينة فكان نقطة ملتقى الطرق الرئيسة الثلاثة التي حددت الأحياء السكنية ووصلتها بالمركز. وكان عرض الطرق غير منتظم، الرئيسي منها يصل إلى ١٠ أذرع (٥ أمتار) ، أما الطرق الثانوية فكانت بعضها ٦ أذرع (٣ أمتار) وكان عرض الطرق داخل الأحياء لم يتجاوز ٥ أذرع (٢,٥م) تقريباً [١٠].

يبدو أن المساجد المحلية شكلت أيضاً نواة التجمع للأحياء السكنية التسعة داخل الكتلة العمرانية الرئيسة وكذلك لضواحي. فقد وصف نور الدين على بن أحمد السمهودي، مؤرخ المدينة المعروف المتوفى سنة ٩١١هـ، موقع ٤٣ مسجدا ذكر أن الرسول ﷺ صلى فيها [١١، ص٧٩٧-٨٨٠]. تسعة من هذه المساجد يرجح أنها كانت تقع في الكتلة العمرانية للمدينة وفي مركز الأحياء السكنية. فقد أشار السمهودي أيضا بناء على إحدى الروايات التاريخية أنه "كان بالمدينة تسعة مساجد يسمع فيها مؤذن النبي ﷺ ، فيصلون في مساجدهم، ولا يأتون مسجد النبي ﷺ إلا يوم الجمعة فأنهم كانوا يجمعون فيه ..." [١١ ، ص ٨٦٣] أما بقية المساجد (٣٤ مسجدا) فغالباً أنها كانت تقع في الضواحي (انظر شكل ١).

من ما تقدم يتضح أن الإيمان بشمول رسالة الإسلام وديمومة صلاحية تعاليمه لمختلف البيئات وعبر العصور يحتم فهم تعاليمه من قبل المخصصين في تصاميم البيئة ثم العمل على تهيئة البيئة المشيدة لتكفل تحقيق ذلك. خصوصاً وان وظيفة البيئة العمرانية في المدينة الإسلامية تتعدى تلبية متطلبات الفرد والمجتمع المادية والمعيشية لتشمل تلبية الجانب الروحي. تحقق هذا الجانب يكمن كما هو واضح من ما تقدم في تمكين الفرد والمجتمع من أداء الشعائر الدينية والعبادات والتمسك بالفضائل والأخلاقيات حسب هدى الشريعة الإسلامية.

مناقشة النتائج

وسائل تطبيق هدى الإسلام في مجال تصاميم البيئة بشكل عام يعتمد على طبيعة التعاليم الشرعية المحددة لذلك. بناءً على ما ذكر آنفا يمكن أن يكون التطبيق على النحو التالي:

١ – العبادات: يجب توفير المرافق اللازمة لأدائها وجعلها في متناول جميع فئات المجتمع.

٢ – الغايات الاجتماعية والأخلاقيات: يجب تهيئة البيئة لتمكن الأفراد والمجتمع من القيام بها بأكمل وجه.

٣ – النواحي العلمية والتنقية: يجب الأخذ بها وتطويرها وتوظيفها لتحقيق ما ورد في ١، ٢.

أما فيما يتعلق في دور المسجد في التشكيل العمراني للمدينة الإسلامية يكون التطبيق من خلال ثلاث إطارات هي:

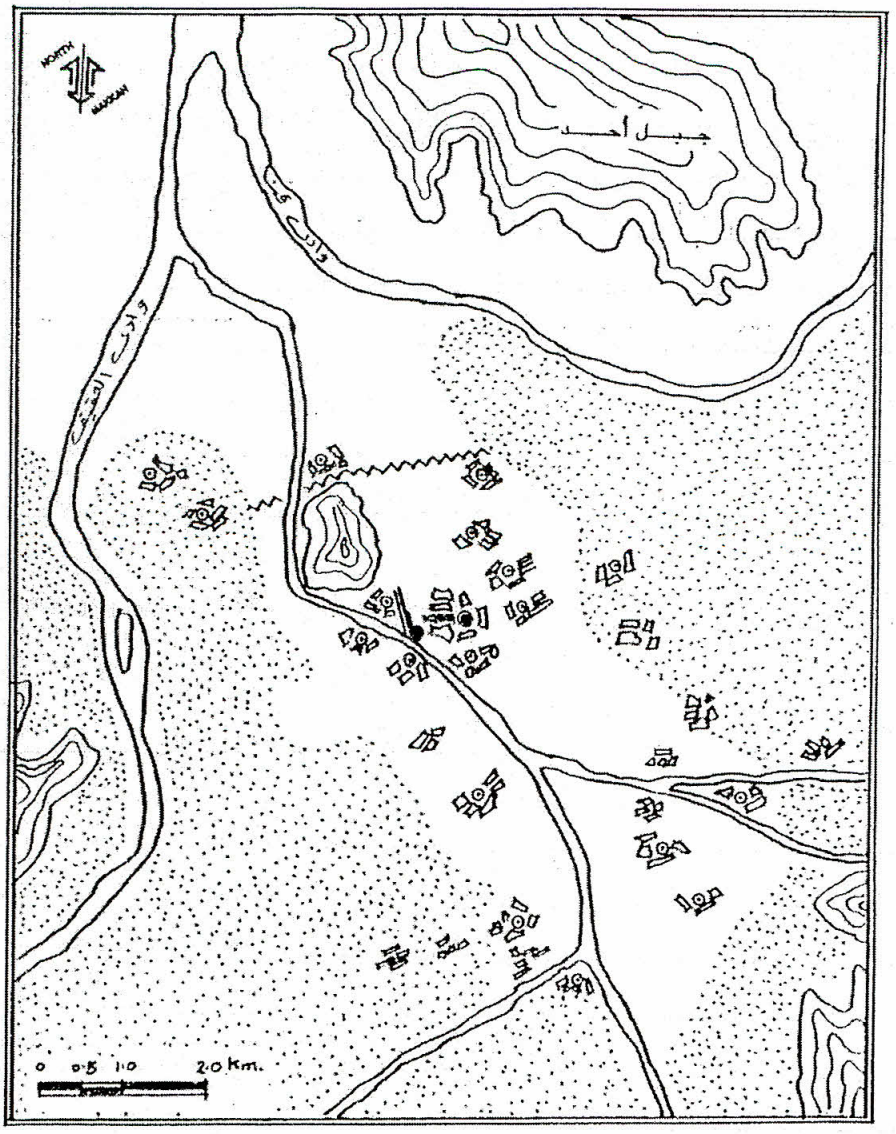

شكل (١) المدينة المنورة في نهاية عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

منازل القبائل
مسجد الرسول (ص)
مسجد محلي
المصلى (مسجد العيد)
السوق
الخندق
جبال
حرار
اودية

المصدر : اعتمد رسم الخريطة بصفة أساسية على وصف السمهودي لمنازل ومواقع مساجدهم في نهاية عهد الرسول صلى الله عليه وسلم [١١، ص ٧٧٩ - ٨٨٠] .

وظيفة المسجد

تقتضي وظيفة المسجد توفير هذا المرفق وجعله في متناول جميع فئات المجتمع. وهذا يتطلب توفر المساجد بمستوياتها المختلفة (المساجد اليومية، مساجد الجمعة، مصليات العيد) وفي أحجام كافية لاستيعاب جميع السكان المخدومين بها وفي نطاق خدمات مقبولة من الجميع لكن تأكيد دور المسجد في تشكيل النسيج العمراني للمدينة و إعطائها الهوية الإسلامية يتعدى مجرد توفير المسجد كأحد المرافق الخدمية، إلى تصميم المدينة لتتناغم مع وظيفة المساجد. من هذا المنطلق يمكن تصميم التركيب الوظيفي للمدينة (الخلية السكنية، المجاورة السكنية، الحي، المدينة) ليتناغم مع التدرج الوظيفي للمساجد (مساجد يوميه، مساجد الجمعة، مصليات العيد). وبذلك تحدد الخلية السكانية بالمنطقة التي تقع ضمن نطاق خدمة المسجد المحلي، والمجاورة السكنية بالمنطقة التي تقع ضمن نطاق خدمة مسجد الجمعة، والحي بالمنطقة التي يمكن أن يخدمها مصلى العيد (في المدن الكبيرة والحواضر، أما في المدن الصغيرة فالمدينة يخدمها مصلى واحد). وبذلك تكون طول نطاق خدمات المساجد المحلية والجمعة ومصليات العيد المحددة لمساحات الخلايا السكنية ووحدات الجوار والحارات.

وهذا الاقتراح يمكن أن يكون بديلا للنظريات الغربية التي تحدد التركيب الوظيفي للمدينة بالتدرج الوظيفي للخدمات وخصوصاً المدارس.

صلاة الجماعة

زيادة فضل الصلاة في جماعة أكبر تقتضي زيادة حجم الجماعة ليتسنى زيادة الأجر كما نصت عليه الأحاديث المذكورة آنفاً. هذا يتطلب زيادة المساحة المخدومة بالمسجد وكذلك زيادة الكثافات السكانية. ولكن يجب التنويه هنا انه يجب الموازنة بين زيادة المساحة المخدومة التي تتطلب زيادة نطاق الخدمة وبين جعل المسجد في متناول (على مسافة مقبولة) جميع السكان المخدومين. وكذلك يجب الموازنة بين زيادة الكثافة السكانية والاعتبارات الثقافية والاجتماعية والعوامل المكانية والبيئية.

فضل المسجد العتيق يهيب بالحفاظ على المساجد القديمة والقضاء على المنافسة بينها والمساجد الحديثة خصوصاً في المدن التاريخية. هذا التنافس غير المرغوب به يحدث من جراء بناء مساجد جديدة ضمن نطاق خدمات المساجد القديمة. لذلك في حالة الحاجة إلى استيعاب عدد اكبر من المصلين يفضل توسعة المسجد القديم بدل من بناء جديد. من هذا المنطلق يجب على الدوام وضع في الحسبان إمكانية التوسعة المستقبلية للمساجد أثناء مراحل التخطيط والتصميم الأولى. لذا يقترح اختيار مواقع المساجد الجديدة في الميادين أو الحدائق العامة.

كيفية الذهاب إلى الصلاة

طريقة الذهاب والهيئة التي يجب أن يكون عليها المسلم أثناء المشي لأداء الصالة (كثرة الخطى، الخشوع، والسكينة) تحتم تصميم البيئة المشيدة الكفيلة بذلك. تحقيق هذا الهدف يفرض إعادة هيكلة التركيب الوظيفي للمدينة الإسلامية كما أشير إليه سابقاً. وكذلك إعادة توزيع المساجد بمستوياتها المختلفة بحيث يكون المسجد

المحلي مركز الوحدة السكنية، ومسجد الجمعة في مركز المجاورة، ومصلى العيد (يجب التنويه هنا أن صلاة العيد لا تتطلب مكان مخصصا لذلك ويمكن أن تقام في الأماكن العامة خصوصا التي يتوفر فيها مواقف سيارات مثل الحدائق، والملاعب) في مركز الحي، وبعد ذلك ربط المساجد بالمناطق التي تخدمها بشبكة من طرق المشاة الآمنة.

يتضح من استعراض دور المسجد في تشكيل النسيج العمراني للمدينة المنورة أن هدى الدين الجديد أحدث تغيرا جذريا في تركيب المدينة العمراني. فكانت تعاليم الدين تنزل على الرسول الكريم وبدوره يبلغها إلى أصحابه ويعيشها المجتمع ويشكل بيئته على ضوءها. نتيجة لذلك كانت البيئة المشيدة عبارة عن محصلة فهم عميق لتعاليم الدين الجديد وتسخير معطيات العصر التقنية المتاحة في ذلك الوقت. وبذلك استحقت المدينة أن تكون نموذج للمدن الإسلامية فيما بعد.

فكان مسجد الرسول ﷺ نواه التجمع العمراني للمدينة وملتقى طرقها الرئيسة، ونمت عدد مساجد القبائل (مساجد محلية) تبعا لنمو الكتلة العمرانية وزيادة عدد السكان. وارتبطت المساجد المحلية بالأحياء التي تخدمها شبكة من الطرق الداخلية مثلما وصلت الطرق الرئيسة الثلاث الأحياء السكنية بمسجد الرسول ﷺ. وكان مصلى العيد في ارض فضاء خارج الكتلة العمرانية وفي الناحية الغربية، وكان المصلى ينتقل في الاتجاه الغربي كلما نمت الكتلة العمرانية باتجاهه، ومن ذلك يمكن القول أن صلاة العيد لا تتطلب مبنى أو مكان مخصص لها.

المراجع

[١] الحريقي ، فهد نويصر . *نحور مفهوم شامل للعمارة والتخطيط الإسلامي*، المؤتمر العلمي الدولي الثاني بكلية الهندسة، جامعة الأزهر، (القاهرة ٢١ — ٢٤ ديسمبر ١٩٩١) ، م١ ، ١٣٨ — ١٤٩.

[٢] القرآن الكريم.

[٣] قطب ، سيد. *في ظلال القرآن*. دار أحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧١م.

[٤] التبريزي، ولي الدين (تحقيق الألباني). *مشكاة المصابيح*. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق ١٩٦١م.

[٥] القرضاوي، يوسف. *الخصائص العامة للإسلام*. مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٥م.

[٦] عبد الباقي، فؤاد . *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*. دار أحياء التراث العربي، بيروت ١٩٤٥م.

[٧] سابق، السيد. *فقه السنة*. دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٣م.

[٨] القاسمي، محمد جمال الدين. *إصلاح المساجد من البدع والعوائد*. المكتب الإسلامي ،بيروت ١٩٨٣م.

[٩] الحريقي، فهد نويصر؛ والجار الله، احمد . "الضوابط الشرعية لتوزيع المساجد في المدينة الإسلامية" . مجلة الهداية، ع ٢٣٧، (مارس ١٩٩٧م ، ٤٦ — ٥٤).

[١٠] AL-HARIGI, FAHAD NWISSER. "THE EARLYDEVELOPMENT OF THE RELATIONSHIP BETWEEN THE PROPHET' MOSQUE AND ITS SURROUNDING PHYSICAL ENVIRONMENT" ARAB JOURNAL FOR THE HUMANITIES, NO. 46, (1994), PP. 298 – 313.

[١١] السمهودي، نور الدين علي بن احمد. *وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى*. دار إحياء التراث العربي. بيروت ١٩٨١م.

The Role of the Mosque in Defining the Urban Fabric and in Underlining the Identity of the Contemporary Islamic City

Fahad Bin Nwisser Al-Harigi
Faculty of Architecture and Planning, King Faisal University
Dammam, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract: This research aims at emphasizing the role of the mosque in the formation of the urban fabric and at underlining the identity of the islamic city through the comprehension of the religious purposes of mosques, and then at preparing the urban environment in order to fulfill that role. This study encompasses discussing the characteristic of totality in Islam and its applications in designing the environment, and it reviews the religious role of mosques, and then discusses the role of mosques in determining the urban form of Al-Madinah Al-Mounawarah. Last, the study discusses the results obtained from ways of applying religious aims in the modern environment, and the way to benefit from the model of Al-Madinah Al-Mounawarah.